مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا المجلد: 04 العدد: 02 سبتمبر 2021 ص ص: 449-471
ر ت م د (ISSN): 2602-618X / ر ت م د إ (E-ISSN): 2710-8031

# "وارجلان" دراسة اقتصادية

# "Warjelan" An Economic review

هرباش زاجية♦

جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر zadjia.harbach@univ-mascara.dz

تاريخ الإرسال: 2021/05/28 تاريخ القبول:2021/08/30 تاريخ النشر: 2021/09/30

**الملخص باللغة العربية:** كان قيام الدولة الرستمية في تيهرت "تاهرت" على يد عبد الرحمن بن رستم من أهم الأحداث التاريخية التي عرفتها منطقة الغرب الإسلامي في الفترة التي امتدت من 160هإلى 296هـ/777- 909م. لكن هذا الامتداد سرعان ما انهار تحت ضربات الدولة الفاطمية التي تمكنت من القضاء عليها وعلى الدويلات المستقلة التي عاصرتها بالمنطقة، و كانوقع سقوط العاصمة الرستمية بالغ الأثر في نفوس الإباضيين الذين فروا بمذهبهم إلى منطقة "بني وارجلان" التي أطالت بفضلهم عمر الدولة الإباضية ردحا من الزمن، إذ أنه وعلى بعد 14 كلم من منطقة وارجلان سيتمكنون من وضع معالم حضارة عريقة في منطقة سدراته استمرت لقرون عرفت من خلالها تلك المنطقة الصحراوية تطورا اقتصاديا هاما في المجال الزراعي والصناعي والتجاري.

**الكلمات المفتاحية:** الإباضية - الزراعة - الصناعة - التجارة- وارجلان - الطرق التجارية.

**Abstract:** The establishment and rise of the Rustamid dynasty (160-296AH/777-909AD) was in its capital Tahert mainly founded by Abdu Errahman Ibn Rustom .It was one of the most important historical events that the Islamic Maghreb had known .However this extension quickly collapsed under the blows of the Fatimid state which was able to eliminate it and all those smaller independent states around it.

The fall of the Rustamid Capital had a great impact on the of the Ibadhites, who escaped southwards carrying their Ibadhiyah branch beliefs with them till arriving to "Beni Warjelan "region where they prolonged the Ibadhit State life for a long period .

♦ المؤلف المرسل

As it is only 14 km away from the Warjelan region, they were able to establish the landmarks of an ancient civilization in the Sedrata region that lasted for centuries.

During that period, that Semi-arid Saharan and desert region knew an important economic, development in the agricultural, industrial and mainly commercial fields.

**keyWords** :Ibadhism - Agriculture ,Industry ,Trade ,Warjelan , The Trade Roads

**مقدمة:** إن تحول نظام الحكم في المجتمع الإسلامي من الخلافة الراشدة إلى النظام الوراثي كانت له انعكاسات جلية على بنيته السياسية، مما أدى إلى ظهور عدة اتجاهات سياسية كانت لها أثارا واضحة على مختلف المناطق الإسلامية بشقيها المشرقي والمغربي، وسوف لن نتطرقلمنطقة المشرق لأن دراستنا ستقتصر على منطقة المغرب الإسلامي، التي تمكنت من تأسيس دويلات محلية في المنطقة من بينها الدولة الرستمية الإباضية في تيهرت "تاهرت" على يد عبد الرحمن بن رستم من 160ه إلى 296ه /777م-909م؛ أين سقطت على يد الدولة الفاطمية.

اضطر الإباضيون بعد سقوط دولتهم إلى البحث عن مكان جديد بمنطقة بني وارجلان أين تمكنوا بسدراتةالمنتسبة إلى أحد بطون زناتة البربريةوالمعروفة عند البربر بـ: اسدراتن"[1]من بناء قصور وبساتينطفقت شهرتها الآفاق، لكن وبالرغم من الازدهار الذي عرفته إلا أنها تعرضت للتخريب[2]في سنة 626ه /1229م[3]على إثر هجوم ابن غانية يحي ابن إسحاق الميورقي عليها و الذي هدم حسب ما ذكر الدرجيني :"كل مادار عليه سورها

1)محمد بلغرد، الحركةالأباضية في تاهرت وسدراتة، مجلة الأصالة، العدد 41، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، 1977، ص46.

2) لم يكن التخريب جديدا فلقد عانت من هجمات الفاطميين في سنة 297ه /910م، ثم الحماديين في 460ه /1068 م. بوقاعدة البشير، الصراع العسكري وخراب المدن بالمغرب الأوسط والأدنى بين 296ه /909م-547ه /1152م، دراسة تاريخية، ميم للنشر، 2015 ، ص ص 74، 81، ص ص258، 267.

3) علي يحي معمر، الإباضية في الجزائر، مطبعة الدعوة الإسلامية، القاهرة، ط 1، 1399ه/1979 م، ص 371.

إلى المسجد. وعاد ورجلان كأن لم تغن بالأمس" [4]، وغيره ولم يبق منها اليوم سوى بعض الآثار الشاهدة على ذلك تم العثور عليها في الفترة مابين 1950م- 1960م[5].

**التعريف بالمنطقة:**

انتقل الإباضيون من جديد بمذهبهم إلى منطقة ورقلة بتسميتها الحديثة التي اختلفت أشكال كتابتها في المصادر التاريخية من مؤرخ أو رحالة إلى آخر؛ إذ كتبت في ثناياها بالأشكال التالية:" وارجلان، وارجلن، وارکلان، وارکلا، ورقلة، وارقلان، وارکلة، ووارکل.

وردت عند البكري بـ: وارقلة:" مدينة طبنة، وحواليها بنو زنراج ومنهاإلى نهر الغابة. ثم تمشي قليلا ثلاث مراحل في مساكن العرب وهوارة ومكناسة وكبينة ووارقلة..." [6].وفي موضع آخر ذكرها بـ: أغرم إن يكامن:"...فإنك تسير في الصحراء خمسين يوما إلى وارجلان وهي سبعة حصون للبرابر أكبرها يسمى أغرم إنيكامن أي حصن العهود..."[7]وعندالإدريسي ذكرت على النحو التالي:"... ومنها إلى المسيلة أقل من مرحلة[8] ومن مدينة المسيلة إلى وارقلاناثنتا عشرة مرحلة كبار. وهي مدينة فيها قبائل مياسير وتجار أغنياء يتجولون في بلاد السودان إلى بلاد غانة وبلاد ونقاوة. فيخرجون التبر ويضربونه في بلادهم باسم بلدهم، وهم وهبية إباضية نكار خوارج من دين الإسلام"[9]. أما ياقوت الحموي، فيقول:"... وارجلان كورة بين إفريقية وبلاد الجريد ضاربة في البر كثيرة النخل والخيرات يسكنها قوم من البربر ومجانة واسم مدينة هذه الكورة

4) الدرجيني ، طبقات المشايخ بالمغرب، ج2، تحقيق إبراهيم طلاي، (د. ت)، ص 494.

5) المرجع نفسه، ص 41.

6) البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، مكتبة أمريكا والشرق، باريس، ترجمة دي سلان، ط 1965، ص 144.

7) اختلفت التسميات منها القصر، الحصن، المدينة، الكورة حسب المصادر المذكورة في تعريفها، وعند البكري وردت باسم حصن العهود، أما في الاستبصار فلقد ورد معناها بـ: بلاد الشهود، وفيه حصن العهود، البكري: المصدر نفسه، ص182. مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق، سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر، المغربية، الدار البيضاء، 1985، ص 224.

8) المرحلة، هي المسافة بين النزلة والنزلة وتقدر مابين 40 و 50 كلم. بنعبد الله عبد العزيز، معلمة الفقه المالكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 1، 1983، ص309.

9) الإدريسي، المغرب العربي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تحقيق محمد حاج صادق، ديوان المطبوعات الجامعية 1983م، ص 160.

فجوهه."[10] لنجد اختلافا آخر عند ابن خلدون بذكر واركل، وراكلان، وركلان، وواركلا، ووركلة في مواضع مختلفة[11].

كتبها الحسن الوزان باسم:"... وركلة مدينة أزلية بناها النوميديون في صحراء نوميديا لها سور من الآجر النيء ودور جميلة، حولها نخل كثير..."[12]. وأما من حيث الموقع فإنها تبعد عن تقرت بـ 160 كلم[13]، تحف بها مع تقرت"...هضاب الشبكة وحماد مزاب وتادمايت من الغرب و الجنوب وتحاذيهما منخفضات واد ريغ والزيبانونفزة والجريد من الجهات الشمالية والشرقية"[14]، بارتفاع يصل إلى 129 م عن سطح البحر، و لقد ساعدها وضعها الطبوغرافي بالاستفادة من المياه الجوفية بسبب الترسبات السفلية لمياه وادي مية[15]، وهي لا تبعد عن الأطلس إلا بنحو 300 كلم مما ساعد على توفر المياه بها.

هي بلد خصب يتكون من 7 مدائن محصنة شكلت عاصمة للعناصر الإباضية باعتبارها أصبحت وريثة تاهرتالرستمية في المغرب الأوسط، من حيث دورها السياسي أو الاقتصادي وبالأخص في الناحية الاقتصادية إذ شكلت هذه الحقبة من القرنين 2 و 3 الهجريين وإلى غاية القرن السادس(6)فترة ازدهار ظهرت فيها مدنا عديدة ذات طابع

10) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 4، مكتبة خياط، بيروت، (د-ت)، ص 920.

11) ابن خلدون عبد الرحمن، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج 6، ج7، تصحيح وتعليق تركي فرحان مصطفى، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1999، ج6، ص 61، ص68، ج7ص 51، ص ص54-55، ص61.

12) الحسن الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، ج2، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر ، دار الغرب الإسلامي، ط 2، بيروت، 1983، ص 136.

13) جلول مكي، "تطور ناحية ورقلة مابين 1962-1975"، مجلة الأصالة، العدد 41، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، 1977، ص161.

14) ناصر الدين سعيدوني، "ورقلة ومنطقتها في العهد العثماني"، مجلة الأصالة، المرجع السابق، ص 72.

15) وادي مية أعتبر من الأودية الميتة التي لم يبق منها سوى المجرى المغطى بالعروق الرملية. سعيدوني، المرجع نفسه، ص 72. عمر سليمان بوعصبانة، معالم الحضارة الإسلامية بوارجلان 296-626هـ/909-1229م، بحث لنيل درجة الماجستير، وزارة الجامعات، المعهد الوطني العالي لأصول الدين بالجزائر، 1991-1992، ص 15.

عمراني حضري كتاهرت، سجلماسة[16]، القيروان وأودغشت، ولقد أثر ذلك بدوره على الميدان الاجتماعي وسمح بوجود فئة اجتماعية مترفة، وهذا لتوفر رصيد هام من الذهب جعل من الشعوب الإسلامية في مركز الصدارة، ومكنهم من التفوق الاقتصادي الذي ارتبط بالتجارة والزراعة .

ساهمت الطبقة التجارية في توظيف تلك القوة المالية بأحسن وجه في المجال الزراعي بالرغم من تنوع عناصرمجتمعهاالمستقرينبالمنطقة والمنتمين إلى قبائل مختلفة أشهرها:

قبيلة سعيد جاءت في القرن 13 م.

الشعانبة في القرن 16م.[17]

بنو ثور من جهات الجريد في أواخر القرن 12م.

الربايع وأولاد نايل موطنهم الأصلي الأطلس الصحراوي والهضاب العليا، جنوب التيطري يقصدونها شتاء لتصريف منتجاتهم بحثا عن المراعي[18]، والملاحظ أن النشاط المسيطر لدى أغلب الفئات هو النشاط التجاري الذي شكل محور الاقتصاد بالمنطقة.

**2- النشاط الاقتصادي:**

**الزراعة:**

إن السمة الأساسية التي اتسم بها العصر الوسيط هي المزج بين الزراعة والتجارة ابتداء من القرن 3 هجري أي 9 ميلادي، ولقد بينت معظم الكتابات الدور الذي لعبته الزراعة في المنطقة الصحراوية، بعدما تمكن سكانها من استغلال الموارد المائية والتحكم فيها، لتوفير حاجة سكانها من جهة، و حاجة التجار الوافدين إليها من جهة أخرى، باعتبارهاكانت منطقة عبور للقوافل التجارية، يتدفق إليها من خلالها الذهب، العبيد

16) سجلماسة، امتلكت رصيدا هاما من الذهب وكان لأحد تجارها بأودغشت صكا قيمته 42 ألف دينار لتعامل أهلها بالصكوك حسب ابن حوقل. ابن حوقل، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (د ت)، ص 96. البكري، المصدر السابق، ص 151.

17) إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص 163.

18) سعيدوني، المرجع السابق، ص ص 74، 76.

والملح منذ القرن 8م و إلى غاية القرن 16م[19]، حيث وظفت هذه العائدات المالية والبشرية في الزراعة ووفرت اليد العاملة الرئيسية من العبيد لهاالذين كانوا يتخذونفي خدمة البيوت والأراضي في زرعها وجني محاصيل بساتينها المنتشرةكخماسة ( الخماس )مقابل حصة الخمس المخصصة لهم[20]كما هو الشأن في واحات أخرىمثل توات وتقرت وغيرها.

اشتهرت وارجلانبنخيلها الكثير فهي حسب رواية الاستبصار:" بلد خصيب كثير النخل والبساتين...وهي بلاد كثيرة الزرع والضرع والبساتين، كثيرة المياه..." [21]وغيرها من روايات المصادر[22] الكثيرة، لكن دون تحديد كمي دقيق لها، والذي قدرتهإحدى الدراسات الحديثة بـ350,878 نخلة[23]، لبراعة الإباضيين في زراعة النخيل وسيطرتهم عليها لأهميتها في حياتهم كغذاء أساسي لهم، ولرؤوس الأموال التي تدرها عليهم، بالرغم من التخريب الذي طالها جراء حملة المنصور الحمادي( 465 هـ- 1075م) التي خربت قصور سدراته ووارجلان واقتلعت نخيلها وغورت عيون مياهها [24]، مثلها مثل

19) Alain Roumey, « LaChiffrie En Milieu Saharien son Fonctionnnement et ses rapports avec le pouvoir central de 1830 à1885 »Cahiers de la Mediterranée,N°45 ,1992 ,p65.

20) Daumas : Le grand désert Itinéraire d'une caravane du Sahara au pays des nègres et royaume de Haoussa, imp, librairie centrale, Paris, 1848, PP94, 96.

21) مجهول، الاستبصار، المصدر السابق، ص 224.

22) ذكر نخيلها أيضا ياقوت الحموي و ابن سعيد المغربي والحسن الوزان، واعتبر العياشي "نخلها سحابة وطفاء" الاستبصار، المصدر نفسه، ص 224. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ص920. ابن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1970، ص 126. الحسن الوزان، المصدر السابق، ص136. العياشي، المصدر السابق، ص 115.

23) حسب إحصائيات الرحالة الفرنسي لارجو، في حين أشارت دراسة بلانشي إلى 252 ، 436 نخلة في سنة1881م

-Largeau Victor, pays de Rirha Ouargla Voyage aRhadamés, Libraire Hachette, Paris, 1879, p109. Blanchet, Paul, « L'oasis et le Pays de Ouargla », Annales de Géographie, T9, N°44, 1900, p155.

24) Blanchet, Ibid, P146.

حملة ابن غانية يحي بن إسحاقالميورقيفي سنة 626هـ/1229م، بما فيها حملات أخرى عرفتها المنطقة في فترات تاريخية لاحقة في العهدين الحفصي والعثماني[25].

يغرس النخيلفي نهاية شهر مارس، فإذا تعهده ملاكه بالرعاية والسقي ينتج في غضون 04 أو 05 سنوات؛ بينما المهمل منه لا تجنى غلته قبل 10 سنين، يبلغ إنتاج النخلة الجيدة في وارجلان مقدار حمولتين[26] أو 4 غرائر[27]، مع ضرورة تركها ترتاح لسنة بعد سنتين من الإنتاج[28].

**ب أهم المحاصيل:**

تأتي التمور في مقدمة المحاصيل بالمنطقة تتميز بجودتها[29] وبكثرتها ولقد دلت بعض الإشارات التي وردت في طبقات المشايخ على ذلكفي وصفها لكرم و ضيافة أهل وارجلان، نذكر منها:"... فأحسنوا نزوله... إلا أن المختص به أبو صالح[30] فإنه أشار إلى أنه ملأ له بيته إلى السقف تمرا... و أجرى له في كل يوم مائدة..." [31]، وفي رواية أخرى ذكر رفْض الشيخ المذكور سابقالدعوة ابن عم له للسفر إلى المغرب، هذا الأخير الذي اعتبر وارجلانمن خلال دعوته له أرض فقر، فرد عليه الشيخبغناها وطيب المقام بأرضها: "عندنا أرضا قعدة الرجل يحمل البعير وسقه[32] عسلا"[33]، في إشارة إلى أن منابت النخل أغنى من مزارع القمح كما ورد، وفي موضع آخر للضيافة دائما فإن الشيخ عبد

---

25) Lethielleux, Ouargla cité saharienne des origines au Début de XX siège, Guethner, Paris, 1983, pp84, 129, p190, 193.

26)الحمل، وزن ما يحمله الجمل وهو في المتوسط مابين 150 كيلو و250 كيلو.

- Martin, Quatre Siècles D'histoire Marocaine Au Sahara de 1504 à 1902 au Maroc de 1892 à 1912, Librairie Félix Alcan, paris, 1923, p15.

27)الغرارة، كيس من الليف لتخزين القمح تستعمل كوحدة للكيل تقدر ب 36 زقن أي 72 كيلو.

- Ibid, P 15.

28) Daumas, Op. cit, PP94, 96,

29) Largeau, Op. cit, p101.

30) أبو صالح جنون بن يمريان، من علماء وارجلان وأخيارها. الدرجيني، طبقات المشايخ بالمغرب، ج2، تحقيق إبراهيم طلاي، (د. ت)، ص ص341 ، 342.

31) المصدرنفسه، ج 1، ص144.

32) الوسق، حمل البعير ويقدر بـ:60 صاعا أي 3 أرطال وثلث.

33) الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص 343.

الله ابن يحيى[34]قدم لضيوفه تمرا كبيسا معسلا ولبنا عجيبا واكتفى لنفسه حسب الرواية بحشف( تمر) يابس طرح نواته كعلفلماشيته[35].

تخللت أشجار النخيل زراعة الحبوب، منهاالحنطة التي اعتبرت من أهم السلع المصدرة إلى السودان[36]، ولو أن الحبوب كانت قليلة وهي لا تكفي، زرعتإلى جانبهاالأشجار المثمرة كالعنب، المشمش، التين، الرمان كفواكه[37]إلى جانب أشجار الزيتون[38]، والتي كانتعلى الأغلب موجهة للاستهلاك المحلي، كما زرعت ببساتينها أيضا بعض الخضروات رغم قلتها منها الجزر، اللفت، الثوم، البطيخ، القرع، الشمام والبصل[39]، وبدورها كانت مخصصة للاستهلاك اليومي، وقليل منها يوجه إلى الأسواق[40].

ارتبط النشاط الزراعي بالرعي وتربية الحيوانات فلقد كانت حسب الرحالة كثيرة الضرع[41] من أغنام، ماعز، خيل وإبل وكانت الإبل تكون معظم القوافل لتحملها قساوة الصحراء وقلة المياه باعتبارها كانت وسيلة نقل أساسية لتجارة القوافل، والملاحظ أن الأرقام[42] قد غابت في ثنايا المصادر التاريخية التي أشارت فقط إليها بنوعهامنها كانت له إبلاأو عن رجل قصد الشيخ يعقوب بن سهلون[43]فسأله عن أرخص ما في السوق فأجابه:" أنها الإبلفاشترى منها ثلاثة بمال وديعة وطلب منه أن يعزبها في

---

34) عرف بالتقوى والسخاء، من الطبقة الثانية عشر، 550هـ-600هـ. المصدر نفسه، ص ص 507، 508.

35) المصدر نفسه، ص507.

36) الإدريسي، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، مقتبس عن نزهة المشتاق، تحقيق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، 1983، ص 93.

37) Blanchet, Op. cit, p144. Largeau, Op. cit, p101.

38) يسندها البعض إلى استعمال قصاع الزيت في محاربة الشيعة التي وردت في رواية الدرجيني. بوعصبانة، المرجع السابق، ص164.

39) Blanchet, Op. cit, P144. Largeau, Op. cit, p101.

40) Largeau, Ibid, p101.

41) الاستبصار، المصدر نفسه، ص224.

42) تذكر دراسة لارجوجدولا به نسبة الجمال4212 جملا و5038 غنما، 3055 ماعزا و352 من الحمير و96 من الأحصنة و12 من البغال، وهي دراسة حديثة 1875م. Largeau, Op. cit, p110

43) أبو يعقوب بن يوسف بن سهلون السدراتي، العالم والفقيه ، الملقب بشيخ الرأي الصالح، من الطبقة السادسة 250-300هـ. الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص ص331، 332.

أرض مزرعة... مربية بين وارجلانواندرار فصلحت أحوالها..." [44] وهذا يدل على تربية الإبل.

ج- **الري**:

تزخر هذه المنطقةالصحراوية إلى جانب وادي ميةبالمياه الجوفية، حيث سمحت الصدوع والانكسارات التي حدثت على مستوى القشرة الأرضية بالوصول إلى الجيوب الارتوازية التي كانت بطاقتها القوية والمندفعة من الآبار عند الحفر، قادرة على سقي كامل المنطقة، حيث ترتوي الجهة الشرقية بالجزائر من مياه الآبار الارتوازية بينماالجهة الغربية بواسطة الفقارات والتي بدورها كانت توفر جهد الإنسان عند اندفاع الماء[45]، ولقد نبه ابن خلدون وغيره لهذه الظاهرة التي أشار إلى غرابتها[46]، وربط بين قيام واحات الجريد ووارکلان وبين تدفق المياه التي كانت تظهر في شكل عيون، ولقد أشارت إحدى المصادر بدورها إلى كثرة مياهالآباربالمنطقة ومحيطهاوالبالغ عددها 1051 بئر[47].

لأهميةالمياه وضرورتها في المجالين الزراعي و التجاري دأب سكان المنطقة على استغلال المياه الجوفية بها بصورة عقلانية حيث دعموها بقنوات وصهاريج للانتفاع بها، وهذا ما بينته سواقي يعود تاريخها إلى القرن 10م تم العثور عليها، مزودة بقنوات لتصريف المياه تتصل بوارجلان وسدراته، والتي لم تكن مقتصرة على منطقة وارجلان لوحدها بل ظهرت كذلك بمنطقةتيهرت و القيروان التي اهتم الرستميون والأغالبة بعمرانهما و بشق قنوات المياه بهما.

وردت عملية استغلال المياه الجوفية بصورة تثير الدهشة ورويت في أكثر من موضع بالمصادر التاريخية منها على سبيل المثال في الاستبصار:"... يحفر الرجل بئرا يُقوّم حفره بـ100 دينار وأزيد فإن أرضهم صلبة والماء بعيد ويدرك على أزيد من ستين قامة فيجد

---

44). المصدر نفسه، ص ص331، 332.

45) إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى، المرجع السابق، ص 140.

46)ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج7، ص ص 60، 61.

47) ذكر المصدر منطقة أنقوصة واسمها سابقا وحدد عدد القرى الممتدة من قرية محروز إلى قرية عين البغل ومن جبل العباد إلى فران وهي تشمل 325 قرية بسط الله عليها الرزق والمياه بوفرة آبارها.
-Féraud charles, « Les Ben -Djellab Sultans De Tougourt Notes Historiques sur La province De Constantine, ourgla », Revue Africaine N° 30, 1886, A. Jourdan, Libraire -Editeur, Alger, pp261, 263.

الماء طبقا من حجر صلد، فيستبشر عند وجوده، ويطعم أولياءه فرحا. ويدخل إليه من يعرف كيف ينقره مربوطا في حبال وثيقة وينقره فيفور الماء فإن أبطأ الرجال في رفعه حتى لا يدركه الماء هلك لحينه، ويبقى الماء يفور على مر الدهور..." [48]، فالوصول إلىالمياه كانيتطلب الحفر على عمق 60 قامة[49]، يشرف عليهخبير حفر البئر الذي يقوم بنقر الحجر ليخرج الماء والذي قد تغمره المياه إذا لم يتم رفعهبالحبل في الوقت المناسب، تبلغ كلفة الحفر 100 دينار لكل بئر، يخصهامالكها بإطعام بعد تدفق مياهها ابتهاجا بالماء.

صورة الحفروردت أيضا عند ابن خلدون فالبئر تحفر بعمق وتفتح الحجارة بعدما يرق حجم جرمها بالفؤوس والمعاول، ثم ترمى عليها قطعة من الحديد ليتدفق الماء:" إن البئر تحفر عميقة بعيدة المهوى. وتطوى جوانبها إلى أن يوصل بالحفر إلى حجارة صلدة، فتحت بالمعاول والفؤوس إلى أن يرق جرمها ثم تصعد الفعلة ويقذفون عليها زبرة من الحديد تكسر طبقها عن الماء ... ويزعمون أن الماء ربما أعجل بسرعته عن كل شيء وهذه الغريبة موجودة في قصور توات وتيكورارينووارکلا وريغ"[50]، وهي نفس الرواية التي أوردها العياشي في رحلته التي شملت تلك المناطق[51]، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على حسن استغلال المياه الجوفية التي سهرمُلاك آبارها على صيانتها كما سهروا على حفرها حيث يقوم الغطاسة من حين إلى آخر بالنزول إلى قاعهالتنظيفها من الأتربة وكنسها، ولدورهم الفعال لم يخل أي حي من أحياء وارجلان منهم[52].

إن تحكم سكان المنطقة في استغلال المياه الجوفية خلال القرن 10م ساهم في توسع الزراعة وازدهار عمران المنطقة، غير أن ذلك لم يكن كافيا إذ زادت الحاجة إلى الماء نظرا لارتفاععدد الوافدين إليها من مختلف المناطق من جهة، وللدور الذي لعبته وارجلان

---

48) مجهول، الاستبصار، المصدر السابق، ص224.

49) القامة، طول الرجل قائما، أو طول ذراعيه ممدودتين يقاس بها عمق البئر تعادل 1متر و65 سم. بنعبد الله، المرجع السابق، ص ص 283، 284.

50) المناطق بالصحراء الجزائرية حفرت بها الآبار والفقارات. ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج7، ص ص60، 61.

51) العياشي، الرحلة العياشية( 1661م/1663م) ج 1، الفاضلي و سليمان القرشي، تحقيق وتقديم سعيد، دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، ط 1، 2006، ص118.

52) سميوا بذلك لغطسهم داخل الآبار يحتوي كل حي على غطاس واحد على الأقل نظرا لعمق تلك الآبار وصعوبة النزول إليها، يتراوح عمقها ما بين 70 إلى 80 ذراعا أي مابين 35 و40 مترا بل توجد 3 منها وصلت إلى 100، 110 و 115 ذراعا.

-LargeauVictor,Op. cit, p103, p106.

من الناحية التجارية من جهة أخرى باعتبارها نقطة عبور للقوافل التجارية، والتي جعلت منها محطة رئيسية للقوافل وللحجاج وميناء داخليا، لكنها ابتداء من القرن 13م أصبحت غير قادرة على تلبية حاجة السكان المحليين وحاجة الوافدين عليها، كما أصبحت تلك الآبار مكلفة إذا ما احتاجت إلى الكنس من جديد فتترك وتحفر بئر أخرى بدلا منها.

إن التطور الزراعي بالمنطقة مرهون بتوفر المياه واستغلال كل الإمكانيات لحفر الآبار والاستفادة من طبيعة المنطقة ذات الجيوب الارتوازية الكثيرة والتي كانت مياهاكافية، لاعتمادها سابقا على الاستغلال الواسع لمياه عين الصفا[53] التي كانت تسقي نخيل سدراته[54]، لكن كمية المحاصيل الزراعية لم تصل إلى درجة الاكتفاء الذاتي بحكم أن القوافل التجارية كانت تجلب معها بعض المنتوجات الزراعية كالقمح لقلته حسب رواية الحسن الوزان و العياشي:" ... وكان من لطف الله بالحجاجأن صادف دخولهم دخول قافلة من أعراب الأرباع، قدمت بسمن كثير وغنم وإبل وزرع اشترى الناس ما احتاجوا إليه بأرخص ثمن..."[55].

لم يقتصر حفر الآبار على المجال الزراعي بل تعداه إلى المجال التجاري لحاجة القوافل التجارية إلى الماء؛ مما يفسر وجود آبار في الطريق صالحة للاستعمال حسب البكري:"... وبين وارجلان وقلعة بني طويل مسيرة ثلاثة عشر يوما ومن تادمكت[56] إلى غدامس

---

53) يشيرليتيليو إلى حفريات هارولد تاري في عين الصفا.
60-Lethielleux, Op. cit, p.

54) يرىblanchet أن عين الصفا كانت تجري لمسافة 6 كلم في الشمال الشرقي وتسقي مزروعات الرويسات، فالآبار في القرن 10م كانت، جارية قدر عددها 1000 بئر ، ولقد تناقصت مياها للتخريب الذي لحق بها، ولقد أحصت دراسته حوالي 700 بئر ميتة، في 1892. -
Blanchet, Op. cit, pp142, 143.

55) الحسن الوزان يذكر مع ندرة القمح اللحوم. وصف إفريقيا، المصدر السابق، ص136. العياشي، المصدر السابق، ص 114.

56) تادمكت(تادمكة)، من أرض السودان، أشبه بلاد الدنيا بمكة، ومعنىتاد إشارة إلى هيئة أي هيئة مكة، كانت لها علاقات تجارية وطيدة مع دول شمال افريقيا منها وارجلان. الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، 1975ص ص128، 129. Lewicki Tadeusz, « Les origines et L'islamisation de la ville de Tâdmakka d'après les sources arabes », revue française d'histoire d'outre- mer, N°66, 1979, société française d'histoire des outre- mers, paris, p163.

أربعون مرحلة في الصحراء والماء فيها على مسيرة اليومين..." [57]، فموقع وارجلان في طريق القوافل و توفر الماء بها سمحللقوافل بالتوقف في ربوعها، أما العياشي فلقد ذكر أن الماء بعد خروجهم من القليعة[58] سيبقى مرهونا بوصولهم إلى واركلا[59].

**3- الصناعة.**

**أ- أهم الصناعات والثروات:**

إن الاهتمام بالصناعة كان أمرا ضروريا لأن المنطقة أصبحت تلعب دورا تجاريا كبيرا باعتبارها امتدادا تاريخيا للحضارة الرستميةالتي ازدهرت في المجال الزراعي والصناعي بظهور صناعات يدوية، إلى جانب وجود معامل كانت تنتج بتيهرتالأواني وما تحتاجه حركة البناء لتشييد القصور من الخزف[60].

ذكر الحسن الوزان أن الصناع بوارجلان كثيرون[61] لكنه لم يحدد أصنافهم أو المجالات التي برعوا فيها، وقد تكون نفس الصنائع التي برع فيها الرستميون[62]لفرار فئات منهم إلى وارجلان، وهي صناعة يدوية محليةاستفادت من الثروات الموجودة بها؛ فصوف ووبر وجلود الحيوانات استغلت في صناعة الملابس الصوفية، الأفرشة والأغطية والصناعات

57) البكري، المصدر السابق، ص 182.

58) القليعة، تسمى بالمنيعة وأيضا بـتاوريرت و بالقليعة تصغيرا للقلعة و هو حصن بناه الزناتيون، قصبتها كانت مشهورة، ذكر بقاياها البكري في القرن 10م ، واستولى عليه الشعانبة في 1560م.

- Bissuel (H) : le Sahara Français, conférence sur la question saharienne, Mars 1891, Adolphe Jordan librairie, Editeur, Alger, 1891, p13. Duveyrier, Henri, « Coup d'oeil sur le pays des Beni-Mezab », Extrait du Bulletin de la societe de geographie, Octobre 1859, pp 23,24.

بلحميسيمولاي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ص79.

59) العياشي، المصدر السابق، ص ص112، 113.

60) بحاز إبراهيم بكير، الدولة الرستمية 160-296هـ/777-909م دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، منشورات ألفا، الجزائر، ط3، 2010، ص ص212، 214. الحبيب الجنحاني، المغرب الإسلامي(القرنين 3- 4هـ) الدار التونسية للنشر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978، ص 135.

61) عرفتتيهرت الخياطة ، الحدادة ، النجارة، معاصر الزيتون والدباغة. بحاز، المرجع السابق، ص ص 204، 206.

62) الوزان الفاسي، المصدر السابق، ص 136.

الجلدية، كما استغل سعف النخيل وأليافه في صناعة السلال والطباق والغرائر لنقل التمور، والحبال وغيرها، ومن الصناعات الحديدية أدوات مختلفة من معاول وفؤوس استعملت في حفر الآبار وفي الزراعة إلى جانب المناجل والسكاكين، وألجمة الأحصنة والجمال والأقفال، الحلي وصك العملة.

إن الصناعة بالمنطقة كانت موجودة رغم بساطتهاكما تم ضرب عملةبوارجلان من التبر حسب رواية الإدريسي:" ما حصل بين أيديهم من التبر وتاجر بعضهم بعض واشترى منهم أهل وارقلان وأهل المغرب الأقصى وأخرجوه إلى دور السكك في بلادهم [63] وتؤكد رواية الاستبصار على وجود عملتها المحلية:"... وتضرب ببلد وارجلان دنانير على نوع المرابطية..."[64]، وأشار ليتيليوLethielleux بهذا الصدد أن بعض المخطوطات المزابية أشارت إلى أن العملة المضروبة في سدراتة ترجع إلى سنة 666 - 667 هـ / 1267م-1268م وهي أول عملة لها تشبه العملة المضروبة في مكة و تحمل رمز" المجد لله أوالشكر لله" على الفضة وأخرى ذهبية بها رمز" محمد رسول الله" لكن كتابات أخرى تؤخر تاريخ ضربها إلى 700 هـ /1300م و هي تحمل رموزا لاتينية[65].

أما العياشي في رحلته فإنه ذكر وجود دراهم غلب عليها طابع النحاس تعامل بها الناس خلال القرن 17م بقوله:" ... ولأهل هذه البلدة دراهم يتعاملون بها يكثر فيها النحاس، أربعة وعشرون في ربع ريال..."[66]أي وجود نسبة كبيرة من النحاسبها أثناء القرن 17 م.

استطاعتوارجلان وفي ظرف قصير التحكم في عملية صك العملة التي ذاع صيتها في نطاق المبادلات التجارية كما ورد في الوصف:"... والدنانير الورجلانية مشهورة..."[67]، و مهما كانت نوعية المادة التي ضربت منها تلك النقود سواء كانت ذهبية، فضية أو نحاسية فإنهاساهمت في دفع عملية التبادل التجاري إلى الأمام وسهلت معاملاتها مع البلدان المجاورة لها، سواء كانت في بيع منتوجاتها الصناعية والزراعية أو في تلك التي تجلبها من تلك المناطق البعيدة عبر الفيافي.

**3- التجارة:**

63) الادريسي، القارة الإفريقية، المصدر السابق، ص 39.
64) نسبة إلى الدولة المرابطية. مجهول، الاستبصار، المصدر السابق، ص224.
65) Lethielleux, Op. cit. p25.
66) العياشي، المصدر السابق، ص118.
67) مجهول، الاستبصار، المصدر السابق، ص224.

**نظامها وأهميتها:**

رغم قساوة الطبيعة الصحراوية إلا أن الصحراء لم تكن عائقا أمام اتصال الشعوب ببعضها و ربط علاقات تجارية فيما بينها حيث بلغت أوج قوتها خلال القرون التالية: الثاني والثالث والرابع بالأخص وأصبحت ورقلة همزة وصل بين الشمال والجنوب لاهتمام أهلها بالتجارة.

كانت تلك العلاقات التجارية تخضع لنظام تسير عليه القوافل التجارية فتنقلها في عرض الصحراء لم يكن بشكل عشوائي، بل كانت أوقاتها معلومة ومناسباتها مضبوطة مهما كانت نوعية القوافل كبيرة الحجم أم صغيرة[68]، وذلك لضمان أمنها، فسلامتها تؤمن الأموال لوارجلان وريثة الدولة الرستمية التي كانت لها شهرة واسعة في نطاق المبادلات التجارية، بل كان تجارها مشهورون في عهدها بالسودان[69]، فحلت محلها بعد أفول نجمها وأصبحت بمثابةالعصب المحرك لكثير من المناطق منها، أودغشت، التكرورسجلماسةوغيرها، إذ رجحت كفتهافي بداية العهد الموحدي كما يشير عزالدين موسى، وتوسعت نشاطات تجارها مع أهل الواحات بين السودان ومصر وحدود المغرب الشرقية، وغدت أهم مركز للتجارة مع السودان في نهاية القرن السادس للهجرة بسبب موقفهم من صنهاجة الصحراء[70]، لكونها بوابة لها تعبر منها مختلف السلع السودانية إلى التل القسنطيني بتبرها وعبيدها[71].

لأهمية الاقتصاد في حياة الدول أفرد له ابن خلدون في مقدمته بابا كاملا تحدث فيه عن ارتباطه بحياة الدول السياسية، فتكلم عن المعاش ووجوهه من الكسب

---

68) كانت القوافل تخضع لنظام دقيق في سيرها يشرف عليها الخبير أو الدليل الذي تسلم له قيادة القوافل وتحديد موعد انطلاقها.

-Daumas : Le grand désert Itinéraire d'une caravane du Sahara au pays des nègres et royaume de Haoussa, imp, librairie centrale, Paris, 1848, P 11.

69) الباروني عبد الله بن يحي، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الاباضية، ج 2، ، مطبعة الأزهار البارونية، (د، ت) ص 184.

70) عز الدين عمر موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 2003، ص 288.

71) الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية، تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10إلى القرن12م، ج 2، ترجمة حمادي الساحلي ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1992، ص 81.

والصنائعكالزراعة، والصناعة والتجارة[72]، ولقد أدركت وارجلان ذلك فاهتمتبهمستغلةالذهب القادم من السودان و تجارة العبيدلتنميته، فتجارها مثل تجار غيرهم كانت لهم مراكز ووكلاء وأدلاء[73]، كما أنهاصكت عملتهالتسهل مختلف معاملاتها التجارية، غير أن هذا الخارجي يجعلها لاتغفل عن طبيعة التعامل التي كانت تختلف عنها بالنسبة لمنطقة غانة أو السودان، وهذا سيحتم على تجارهاالخضوع لتلك القوانين التجارية الخاصة بهذا البلد أو ذاك حسب النظام المعمول به، والذي ميز القرنين 3 و4 الهجريين كالمقايضة مثلا أو النقد بعملات أخرى، فغانة كانت تتعامل بطريقة التبادل الصامت ويتم بالاختفاء بعدوضع التبر بجانب السلع :" يضعون السلع وبجانبها التبر ثم ينسحبون فيظهر أهل غانة من مخابئهم، فإذا رضوا بكمية الذهب أخذوها، وإن لم يرضوا اختفوا مرة أخرى حتى تزداد الكمية وكانت هذه الطريقة في المبادلة شائعة في القارة الإفريقية في العصور الوسطى"[74].

ذكرت المصادر أيضا اعتماد بيع الأجل في شراء رجل من ورجلان لجمل أجل نقد بائعه إلى تادمكت:" فلما أراد أن ينقده الثمن قال له إن ثمن جملك في تادمكت..." [75]، طريقة التعامل هذه كانت لها قوانينها المضبوطة تسري على التجار خاصة وأنبعض المهتمين بها كانوا من الطبقات المتعلمة[76]والتي كانت لها دراية بالمعاملات، فاستفادت من ذلك في التجارة وفي نشر الإسلام في المناطق التي تعاملوا معهامما انعكس إيجابا على نظام التجارة بحسن التدبير واختيار الأوقات للتبادل وحتى في تحديد نوع التجارة، كما فرض التعامل التجاري من جانب آخر الاهتمامبحفرالآبار في الطريق

72) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تحقيق درويش الجويدي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، بيروت، ط1، 1999، ص ص 353، 400.

73) زبادية عبد القادر، الحضارة العربية والتأثير الأوربي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء، دراسات ونصوص، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م، ص 28.

74) بوخالفة نور الهدى، دولة بني واسول في سجلماسة علاقاتها ودورها الحضاري في المغرب الوسيط، دبلوم الدراسات المعمقة، جامعة وهران، 1976، ص 207.

75)ارتبطت بالشيخ أبو صالح الياجراني الذي جلب من إبله أبعرة إلى وارجلانللتجارة. الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص ص 374، 375.

76) منهم الشيخ أبو صالح الياجراني الذي حمل سلعة( أكسية) نحوها على جمل . Lewicki Tadeusz, Op. cit, p164.

لتزويد القوافل بالماء، ببناء فنادق لاستقبال الغرباء والتجار وتحديد مراكز لبضائعهم وحظائر لدوابهم[77]، ولقد أطلق على تلك الفنادق في وارجلاناسم الأسواق[78].

ب - أهم الطرق التجارية: تمر القوافل التجارية عبر طرق مختلفة تربط من خلالها بين المفاوز الصحراوية والمناطق التلية في الشمال ذهابا وإيابا أهمها:

من سجلماسة إلى والاتا ومنها إلى تمبكتو وجني وغاو.

من تلمسان إلى غرداية وتوات وتمبكتو.

من تقرتوورقلة إلى غاو مباشرة ليتصل ببضائع الموانئ الجزائرية الهامة كجزائر بني مزغنة، بجاية، سكيكدة ومستغانم.

من واحة الجريد في جنوب تونس يمر بورقلة ووادي سوف أو بغدامس أحيانا.

من طرابلس الغرب إلى غدامس[79].

ابتداء من القرن 9 م أصبحتوارجلان أهم مركز تجاري بعد فتح الطريق الرابط بين ورقلة وتوات والجريد وزادت أهميتها عند دخول البربر المسلمين إلى أعماق الصحراء التي تمكنوا بها من استغلال المناجم ولم تكن الطرق تقتصر على الطرق المذكورة أعلاه بل أيضا ربطتها علاقات تجارية عبر طرق أخرى كأودغشت والقليعة وبدأت حركتها تدب من جديد عند وصول ذهب السودان وعبيدها، فأكملت بناءها ودعمت مراكزها الدفاعية ورفعت من قيمة ثقافتها وزراعتها وصناعتها ولقد أشاد ابن خلدون بأهميتها في حديثه عن الأمير أبو زكريا بن أبي حفص الذي مر بوارجلان فأعجب بها :" ..فاختط مسجده العتيق ومأذنته المرتفعة.. . وهذا البلد لهذا العهد باب لولوج السفر من الزاب إلى المفازة الصحراوية المفضية إلى بلاد السودان يسلكها التجار الداخلون إليها بالبضائع[80].

ج- أهم البضائع:

77) زبادية عبد القادر، الحضارة العربية، ص28.

78) آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع هجري، ج 2، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص799.

79) عبد القادر زبادية، "ورقلة عروس المدائن"، مجلة الأصالة، المرجع السابق، ص 141.

80)ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج7، ص 55.

تمثلت البضائع في التمور التي تصدرها وارجلان فيكثر بيعها في أسواق السودان وغيرها، حسب رواية الإدريسي:"فليس في بلاد السودان شيء من الفواكه الرطبة إلا ما يجلب إليها من التمر...يجلبه إليهم أهل ورقلان الصحراء." [81] ويؤكدها ابن خلدون أيضا:" ففواكه بلاد السودان كلها من قصور صحراء المغرب مثل توات وتيكورارينوركلان"[82]، وبعض الحنطة إلى بلد زغاوة[83]، وكذلك المنسوجات الصوفية، الأواني النحاسية، المصنوعات الحديدية كالأسلحة والأقفال، والأواني الفخارية، إلى جانبالحلي، والجمال، أما السلع التي كانت تأتي من الشمالمنها الأواني النحاسية، المنتجات الحديدية، العطور، المنسوجات القطنية والحريرية، القمح، الجلود المدبوغة، الحلي والخيول[84]،

شملت السلع التي كانت ترد إليها من الجنوب الذهب الخام( التبر)، العبيد، المجلوبين من السودان والذين كانت لهم أهمية في التجارة و في الزراعة بالنسبة لوارجلان، الملح، ريش النعام، التوابل، الجلود غير المصنوعة، اللحم، والقمح[85]، ولقد قدر ابن أما ابن خلدون حجم القوافل التي كانت تصل إلى وارجلان بـ12 ألف حمل[86]، باعتبارها كانتبوابة للسودان ونقطة تجمع وانطلاق للقوافل التجارية، تصل من خلالهم - تجاروارقلان- حسب الباروني مختلف البضائعكالنحاس الأحمر والملون، الأكسية والملابس الصوفية، العمائم، المآزر، الزجاج، الأصداف[87]، الأحجاروالأفاويح والعطور والآلات الحديدية يصل عددهم في القوافل من 100 جمل إلى 70 و80 جملا، جعلهم الأكثر مالا في عهد الملثمين( المرابطين)[88].

يذكر الحسن الوزان( ليونالإفريقي) بضائع أخرى كانت تأتي من بلاد السودان ومن مناطق أخرى يجلبها الغرباء أو التجار الأجانب الذين سبق لنا وأن ذكرناهم آنفا من قسنطينة وتونس خاصة أهمها مايلي:"يحملون إلى وركلة منتجات بلاد البربر ويستبدلونها

81) الإدريسي، القارة الإفريقية، المصدر السابق، ص39.
82) ابن خلدون، مقدمة، المصدر السابق، ص58.
83) ذكرهم ابن سعيد بالزغاويين، منطقتهم مابين قوس النيل من الجنوب إلى الشمال. ابن سعيد، المصدر السابق، ص ص96، 97.
84) إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى، المرجع السابق، ص 160.
85) زبادية، الحضارة، المرجع السابق، ص ص 39، 40.
86)ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج7، ص 55.
87)كانت تستعمل كعملة.
88)الباروني، المرجع السابق، ص

بما يأتي من بلاد السودان. القمح واللحم نادران جدا، وتؤكل الجمال والنعام... وأهل وركلة كرماء ظرفاء يستقبلون الغرباء استقبالا حسنا، لأنهم لا يملكون غير ما يأتيهم به هؤلاء، كاللحم المالح والشحم والمنسوجات والأقمشة و الأسلحة والسكاكين." [89].

كما يؤكد أن لوركلة أمير يعظمه قومه ويشرفونه كالملك تصله جباية أموال إمارته بمقدار 150 ألف مثقال[90]، وهذا يعني أن جل البضائع كانت تصلها من مناطق مختلفة ويذكر العياشي بدوره أثناء زيارته لوارجلان أهم البضائع التي ترد إلى المنطقة والتي ارتبطت بقوافل الحجاج الذين تعتبر وارجلان بالنسبة لهم همزة وصل بين مختلف القوافل التي تمر منها لأداء مناسك الحج لأهميتها، فلقد قدمت القافلة بـ: السمن، أغنام، إبل، زرع، ولم تكن تلك القافلة هي الوحيدة من نوعها بل لحقتها أخرى اشترى منها الحجاج أغناما كثيرة ومن وفرة اللحم شبّه تلك الأيام بوراركلا بأيام منى[91].

كانت للصحراء عدة أبواب فتحت تجاريا على منطقة المغرب الإسلاميلاستقبال البضائع السودانية ، وكان الدور المحوري والأساسي لسكان وارجلان الذين كانوا يجولون عبر تلك المناطق الصحراوية يبتاعون منها ويبيعونها مختلف البضائع التي يجلبونها معهم ويعرضونها في السوق الكبير الذي يتوسط قصبتها محتويا على دكاكين[92]، وبفضل نشاط أهلها الذين سيطروا على الطرق التجارية حسب المسالك التي سبق ذكرها غدت همزة وصل هامةبين الشمال والجنوب بدون منازع خلال قرون منذ تأسيسها وإلى غاية القرن 14م.

إن الصور التي نقلها المؤرخون والرحالة كابن خلدون والحسن الوزان والعياشي[93]، وغيرهم ممن كانوا شهود عيانبينت حركية المنطقة تجاريا حتى لو لم تحدد في ثنايا وصفها أرقاما، لكنها أكدت سيطرة تجار وارجلان على التجارة الصحراوية لقرون، غير أنها وابتداء من النصف الثاني القرن 17 م وبداية القرن 18 م، تناقصت سيطرتها بسبب الفتن التي عرفتها المنطقة حسب رواية العياشي الذي زارها في سنة 1663م وصلى بجامع المالكية بها

89) الوزان الفاسي، المصدر السابق، ص 136.

90) المثقال، وحدة قياس لوزن العملة، و يقدر المثقال بـ: 22 قيراطا إلا حبة وهو بنسبة 72 حبة شعير للدينار الذهبي وبوزنه الشرعي. ، الوزان الفاسي، المصدر السابق، ص 136. Martin, Op. cit, pp11,12.

91) العياشي، المصدر السابق، ص114.

92) Almand Victor, L'Oasis d"Ouargla, Besançon Imprimerie, 1890, p5,

93) Martin : Op. cit, pp58 ,59.

صلاة الجمعة التي خطب إمامها للسلطان العثماني الأعظم محمد بن إبراهيمابن مراد[94] ولسلطان بلاده مولاي علاهم[95]إذ أشار من خلال روايته إلى الفتنة التي وقعت بها قبل شهرين من حلوله بها بسبب قيام جماعة من حاشية الحاكم- بيضة البلد وعصبة أهلها مثلما نعتهم الرحالة بالتآمر عليه فاتفق مع رعيته على قتلهم مما أثر على أهل البلاد وعلى علاقته مع بني جلاب[96]، سياسيا.

الجانب الاقتصادي كان له دوره فلقد أثرت عليهاالضرائب الباهظة المفروضة عليها سواء من قبل الأعراب[97] أو من قبل الدولة العثمانية[98].

شهدت هذه الفترة أيضا تحولالطرق التجارية من المناطق الداخلية إلى البحار أي نحو البحر المتوسط والمحيط الهندي، ويرى ليتيليو إلى جانب العوامل السابقةاختفاء دور منطقةتمنطيط بعد طرد اليهود منها لظهور الشيخ عبد الكريم المغيلي لمساهمتهم في تنشيط تجارتها لعلاقتها التجارية الوطيدة بوارجلان[99] وهذا ما أدى إلى تحول تجارة الذهب إلى مراكز أخرى(من غينيا إلى البرتغال ومن السودان إلى مصر)، لكن هذا لا ينفي الدور الذي لعبته وارجلان ولفترات طويلة، فلقد كانت أسواقها اليومية أو الأسبوعية تعج بالبضائع المختلفة القادمة من الشمال أو من الجنوب وانتظمت فيها عملية التبادل

---

94) السلطان محمد الرابع بن إبراهيم بن محمد بن مراد( 1648-1687م) تولى الحكم بعد وفاة والده رغم صغر سنه وفي عهده حسب بعض، شن يوسف باشا حملته على تقرتوورقلة في 1649م، وهي الثانية بعد الحملة الأولى التي قادها صالح رايس جرت في 1552م. فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق إحسان حقي، دار النفائس، بيروت، ط1، 1981، ص ص289، 304. . العياشي المصدر السابق، ص 114. سعيدوني، المرجع السابق، ص78.

Lethielleux, Op. cit. p215

95) مولاي علاهم بن مولاي محمد (1653-1682م)، حسب العياشي فإن له صلة قرابة مع الشيخ أحمد بن جلاب، عرف بحسن سيرته قبل قتله لمن قام عليه في سنة 1663م، أما عن ظهور أل علاهم فلقد بدأت في 1602م بمولاي علاهم إلى سنة 1623 أو سنة 1624م ثم مولاي محمد إلى 1630م ثم مولاي عبد الغفار إلى سنة 1653م لتصل إلى مولاي علاهم بن مولاي محمد المذكور الذي أباح القتل للحفاظ على عرشه حسب دراسة الأب ليتيليو. العياشي، المصدر السابق، ص114.

208 ,222. Lethielleux, Op. cit, pp

96) العياشي، المصدر نفسه، ص115.

97) الحسن الوزان، المصدر السابق، ص 137.

.)30عبدا كضريبة في الحملة الأولى و25 في الثانية عبدا بدلا من سعيدوني، المرجع السابق، ص 9878

Lethielleux, Op. cit. pp215 ,216

99) Ibid, pp186, 187.

بصورة حديثة قد لا تجد لها مثيلا بالمشرق أو بأوربا التي كانت ترزخ تحت نير جهل القرون الوسطى، لكنها كانت بالنسبة للدول العربية بمثابة عصور رخاء وازدهار خاصة تاهرت، سجلماسة، السودان، التكرور، غانة ووارجلان وغيرها من الواحات الصحراوية التي أحسن أهلها التصرف برصيدهم المالي القوي فدعموا مراكزها التجارية، التي انعكست بشكل ايجابي على الميدانين الزراعي والصناعي لولا التطاحن السياسي والمذهبي الذي نخر جسم الدول الإسلامية بدافع تكوين ممالك، أو تجسيد روح سلطة وراثية جرتها إلى التدهور.

**الخاتمة:** إن السمة الأساسية التي عرفتها وارجلان عبر مختلف الفترات التاريخية تمثلت في المزج بين الزراعة والتجارة، حيث استطاعت أن تصل إلى قمة العطاء التجاري بسيطرتها على أهم المراكز التجارية ولفترات طويلة، حيث ساعدها في ذلك الذهب القادم من السودان والعبيد، بعدما ربطت علاقاتها مع الدول المجاورة، وسايرت قوانين التعامل التي تحكمت في آليات التجارة آنذاك، فصكت عملتها وفتحت أسواقا داخلية زودتها بالبضائع المحلية والمستوردة بمختلف أنواعها، كما عرفت الصناعة التي ساهم في تطويرها وجود عناصر مختلفة قدمت من تيهرت باعتبارها وريثة للدولة الرستمية، وظهر ذلك جليا في طرق البناء والزخرفة المزدهرة، واستغلت الآبار الارتوازية مما دعم رصيدها الزراعي وفتحت أبواب الاتصال مع الدول المجاورة لمدة قرون، لكن تحول الطرق التجارية عنها لتحولها بسبب الاكتشافات الجغرافية نحو البحار، وظهور الخلافات في أوساطها أنهى ذلك الإشعاع الحضاري الذي لاينكر فضله إلا الجاحد.

## قائمة المصادر والمراجع:


ـــ الإدريسي (أبي عبد الله محمد بن عبد العزيز الشريف)، المغرب العربي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تحقيق محمد حاج صادق، ديوان المطبوعات الجامعية، 1983م.

- الإدريسي، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، مقتبس عن نزهة المشتاق، تحقيق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، 1983.

- الباروني سليمان بن الشيخ عبد الله النفوسي، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الاباضية، ج 2، مطبعة الأزهار البارونية، (د، ت).

- بحاز إبراهيم بكير، الدولة الرستمية 160-296هـ/777-909م دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، منشورات ألفا، الجزائر، ط3، 2010.

_ البكري( عبد الله بن عبد العزيز أبي عبيد)، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، مكتبة أمريكا والشرق، باريس، ترجمة دي سلان، ط 1965.

- بلحميسي مولاي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979.

_ بلغرد محمد، "الحركة الأباضية في تاهرتوسدراتة"، مجلة الأصالة العدد 41، 1977، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر.

- بنعبد الله عبد العزيز، معلمة الفقه المالكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 1، 1983.

- بورويبةرشيد، "الفنالرستميبتاهرتوسدراتة"، مجلة الأصالة، العدد 41، ، 1977، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر.

_ بوخالفة نور الهدى، دولة بني واسول في سجلماسة علاقاتها ودورها الحضاري في المغرب الوسيط، دبلوم الدراسات المعمقة، جامعة وهران، 1976.

- بوعصبانةعمر سليمان، معالم الحضارة الإسلامية بوارجلان 296-626هـ/909-1229م، بحث لنيل درجة الماجستير، وزارة الجامعات، المعهد الوطني العالي لأصول الدين بالجزائر، 1991-1992.

- بوقاعدة البشير، الصراع العسكري وخراب المدن بالمغرب الأوسط والأدنى بين 296هـ-909م-547هـ/1152م، دراسة تاريخية، ميم للنشر، 2015 .

_ الجنحاني الحبيب ، المغرب الإسلامي(القرنين 3- 4هـ) الدار التونسية للنشر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978.

-الحموي ياقوت، معجم البلدان، مكتبة خياط، بيروت، (د-ت)، ج 4.

_ الحميري(محمد بن عبد المنعم)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، 1975.

– ابن حوقل(أبو القاسم محمد البغدادي)، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (د ت).

–ابن خلدون عبد الرحمن، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تصحيح وتعليق تركي فرحان مصطفى، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1999، ج6، و ج7.

_ ـــــــ، مقدمة ابن خلدون، تحقيق درويش الجويدي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، بيروت، ط1، 1999.

- الدرجيني، أبي العباس أحمد بن سعيد، طبقات المشايخ بالمغرب، تحقيق إبراهيم طلاي، (د.ت)، ج1و2.

_ زبادية عبد القادر، "ورقلة عروس المدائن"، الأصالة، ع 41 ، 1977، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر.

-ـــــــــــ ، الحضارة العربية والتأثير الأوربي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء، دراسات ونصوص، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م.

- ابن سعيد المغربي(أبو الحسن علي بن موسى)، كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1970.

_ سعيدوني ناصر الدين "ورقلة ومنطقتها في العهد العثماني، مجلة الأصالة، العدد 41، 1977، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر.

_ العربي إسماعيل ، الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.

- عز الدين عمر موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 2003.

- العياشي (عبد الله بن محمد بن أبي بكر أبي سالم)، الرحلة العياشية ( 1661م/1663م) ج 1، تحقيق وتقديم سعيد الفاضلي و سليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، ط 1، 2006.

_ متز آدم ، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع هجري، ج 2، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986،

_ مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق، سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر، المغربية، الدار البيضاء، 1985.

- المحامي فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق إحسان حقي، دار النفائس، بيروت، ط1، 1981.

_ معمرعلي يحيى، الإباضية في الجزائر، مطبعة الدعوة الإسلامية، القاهرة، ط 1، 1399هـ/1979 م.

- مكي جلول، "تطور ناحية ورقلة مابين 1962-1975" ، مجلة الأصالة، العدد 41، 1977، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر.

- الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية، تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10إلى القرن12م، ج 2، ترجمة حمادي الساحلي ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1992.

ـ الوزان( الحسن بن محمد الفاسي)، وصف إفريقيا، ج2، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط 2، بيروت، 1983.

- Almand Victor, L'Oasis d"Ouargla, Besançon Imprimerie ,1890 .

-Bissuel (H) : le Sahara Français, conférence sur la question saharienne, Mars 1891, Adolphe Jordan librairie, Editeur, Alger, 1891.

- Blanchet, Paul, « L'oasis et le Pays de Ouargla », Annales de Géographie, T9, N°44, 1900, pp141, 158.

- Daumas (Eugene) : le grand désert Itinéraire d'une caravane du Sahara Au pays des Nègres, Royaume de Haoussa, Paris, 1848.

-Duvyrie, Henri, « Coup d'oeil sur le pays des Beni-Mezab »,Extrait du Bulletin de la societe de geographie, Octobre 1859, pp1,24.

-Féraud charles, « Les Ben -Djellab Sultans De Tougourt Notes Historiques sur La province De Constantine, ourgla », Revue Africaine N° 30, 1886, A.Jourdan, Libraire -Editeur, Alger, pp259 ,274.

- Largeau Victor, pays de Rirha Ouargla Voyage aRhadamés, Libraire Hachette, Paris, 1879.

-Lethielleux, Jean, Ouargla cité saharienne des origines au Début de XX siège, Guethner, Paris, 1983.

-Martin (A.G.P) , Quatre Siècles D'histoire Marocaine Au Sahara de 1504 à 1902 au Maroc de 1892 à 1912. Librairie Félix Alcan, paris, 1923.

- Roumey, Alain « LaChiffrie En Milieu Saharien son Fonctionnnementet ses rapports avec le pouvoir central de 1830 à1885 »Cahiers de la Mediterranée,N°45, 1992, pp65 ,70.

Tadeusz Lewicki, « Les origines et L'islamisation de la ville de Tâdmakka d'après les sources arabes », revue française d'histoire d'outre- mer, N°66, 1979, société française d'histoire des outre- mers, paris .